أثر الاتجاه العقائدي
في جمع وتحقيق الدواوين الشعرية

م.د. مهند عبد العظيم باقي الياسري

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة

The impact of ideological orientation on collecting and publishing poetic collections

Inst. Dr. Muhannad Abdel Azim Baqi Al-yasiri

Ministry of Education / General Directorate of Education of Holy Karbala.

ملخص البحث

سعى الرسول الأكرم ((لتوحيد الصف وجمع الكلمة وعلى هذا المنحى سار الخلص من المؤمنين ساعين لإظهار أن الدين واحد وغير مختلف عليه لكن هذا لا يمنع من وجود أصوات غريبة تغرد خارج السرب، سعى بحثنا هذا لرصد أثر ما يعتقد به الإنسان مع ما يقوم به من أعمال علمية، كتحقيق الدواوين الشعرية، يأتي بحثنا مسلطًا الضوء على هذه القضية حتى تؤخذ بنظر الاعتبار وعدم تكرير مثل هذه الممارسات الخاطئة.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات، العقيدة، التحقيق

Abstract

The noble Messenger strived to unite the rank and the word , on whose direction the faithful of the believers proceeded, seeking to show that there one Islamic undisputable religion. However, this does not prevent the presence of strange voices chirping outside the flock. Our research sought to monitor the impact of what a person believes with the scientific work he does, such as publishing poetry collections. Our research sheds light on this issue to be taken into consideration and such wrong practices are not repeated.

Keywords: manuscripts, doctrine, investigation

المقدمة

اختفت العصبية عند العرب في عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، واستمرت بالاختفاء والذوبان حتى حلَّ عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) فقد عاودت الظهور والانبثاق في أواخر عهده، وكان لانبعاثها هذا الأثر الكبير في اختلاف المسلمين وظهور الفرق والطوائف، والتناحر بين الأمويين والهاشميين والذي يمعن النظر يجد أن مسألة الخلاف هذه أبعد من هذا التأريخ، فمن أهم أسبابها السياسية مسألة الخلافة ومن صاحب الأحقية في تولي أمور المسلمين بعد النبي[١] (صلى الله عليه وآله)، يأتي الشعر ليصور وينقل الكثير من تلك الوقائع، وينقل عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنَّه قال: «إنَّ الشعر ديوان العرب»[٢]، لأهميته البالغة ولِما عليه من معول في تفسير الكثير من الأحداث التأريخية، بإماطة اللثام عن كثيرٍ من التفاصيل بما ينسجم مع قوة الحدس الشعري عند الشعراء ونفاذ رؤيتهم، فقد انعكس في الشعر العربي الكثير من القضايا التأريخية.

أولا / التحقيق في اللغة والاصطلاح

قال صاحب التاج: «حَقَّ الشّيءَ: أَوجْبَهَ وأثبَتَه، وصارَ عندَه حَقاً لَا يَشُك فِيهِ، ويُقال: يَحِقّ عليكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذا، أَي: يَجبُ كأَحَقَّه، وحَققَه وقِيلَ: أَحَقَّه: صَيَّرَه حَقاً، وحَق الطرِيقَ: ركِبَ حاقةُ أَي: وَسَطَه، وَمِنْه الحَدِيثُ أَنه قالَ للنساءِ: ليسَ لَكُنَّ أنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عليكُن بحافاتِ الطَّرِيقِ. وحَق فُلاناً يَحقُّه حَقًّا: ضَرَبَه»[٣]، ولا يبتعد عن هذا المعنى صاحب اللسان[٤]، فتطلق هذه اللفظة ويراد بها الإثبات والإحكام والتصديق، بمعنى إحكام النصوص وتثبيت صحتها.

أما في المعنى الاصطلاحي فلعلَّ

أفضل ما عُرف به قولهم: «هو بذل العناية بالمخطوطات لتكون أقرب إلى الصورة التي كتبها مؤلفها دقة وسلامة مما يجعل الإفادة منها كبيرة»[٥]، ويعد هذا المصطلح محدثًا عُرف بعد ظهور الطباعة ففي السابق لم يكن معروفًا، وكذلك المخطوطة، وتعد لفظة محدثة، إذ أننا لا نجد لها ذكرًا في كلام الأقدمين[٦]، لهذا لا نجد لها ذكرًا في كتب القدماء سميت بذلك مع ظهور الطباعة فأصبحت الكتب على صنفين مخطوط ومطبوع، إذ كانت قبل ذلك تعرف بالكتاب التي تمثل مصنفات العلماء الماضين، ويعد التحقيق الوسيلة الوحيدة التي تُظهر هذه المخطوطات المهمة المتحصل منها العلوم الموصلة إلى النتائج المطلوبة، وهو باب مهم من أبواب إحياء التراث، ويقدم «النص المخطوط كما يريده المؤلف»[٧]، الذي كتب مصنفه بخط اليد وبطرق بدائية.

ثانيًا / ما على المحققين

يمثل العمل الأدبي بالنسبة للمؤلف أثمن ما ملك ويعتز به أيما اعتزاز ؛ لأنه يضع فيه فكره راجيًا أن يكون ذلك الفكر المضمَّن أمانة تصل إلى الأجيال اللاحقة لكن كثيرًا ما تتعرض هذه الأعمال للتصحيف أو التحريف «وهما أكبر آفة مُنيت بها الآثار العلمية فلا يكاد كتاب منها يسلم من ذلك»[٨]، فلا يجب أن يكون «تحقيق المتن تحسينًا أو تصحيحًا، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها»[٩]، والتحريف ظاهرة قديمة جدًا لم ينج منها الكثير، وفي السابق كانوا يعارضون الكتب التي ينسخونها فيقابلونها على الأصل، وقد خص الخطيب البغدادي ذلك في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي

وآداب السامع» بابًا بعنوان «وجوب المعارضة بالكتاب لتصحيحه»[١٠] وفي هذا دلالة على وجود تلك الظاهرة آنذاك، والواجب على كل باحثٍ أن يتحلى بالأمانة العلمية، فعز وجل ربنا يقول في كتابه العزيز: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[١١]، وقوله سبحانه: ﴿الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾[١٢]، فالتزام الأمانة قضية يفرضها الدين وتوجبها أصول البحث العلمي الرصين، ولا جدوى من محاولة التزييف؛ فكل عمل عُرضة للنقد وبالتالي فأن الأيام كفيلة بكشف كل ما سُعي لطمسه.

فدور المحقق مقتصر على إخراج ما خط باليد في السابق مطبوعا، ويقوم بشرح وإصلاح ما هو بصدد تحقيقه، ومن المؤكد إن هذا العمل ليس سهلا وقد قيل فيما مضى إن تأليف الكتاب أسهل من إصلاحه، ولا يقوم بهذا العمل إلا من توافرت فيه شروط كثيرة حدها الأستاذ عبد السلام محمد هارون بجملة من الضوابط تأتي الأمانة العلمية في صدارة تلك الضوابط، فالتحقيق «نتاج خُلقي لا يقوى عليه إلا من وهب خلتين شديدتين: الأمانة والصبر»[١٣]، ويعز علينا أن نجد واضع القانون أول مخترقه، فقد عمد الأستاذ عبد السلام على إسقاط نص مهم من تحقيقه لكتاب «وقعة صفين» لـ «نصر بن مزاحم المنفري» _ ط ٢، ١٣٨٢هـ ص ٢٣١ – متعلق بحديث للإمام علي (عليه السلام)[١٤]؛ يأتي هذا الفعل بدوافع عقائدية بالرغم من إن محاولة التحريف هذه عقيمة ولا تصمد والزمن كفيل بكشف كل ما تم تغييبُهُ.

ثالثًا / دور المحققين

لو كان بحثنا هذا بحث عقيدة لأصبح لزامًا علينا أن ندرس بتفصيل

دقيق الفرق الإسلامية ونشأتها ومتبنياتها، ولكن مرادنا إظهار أثر تلك العقائد على تحقيق مخطوطات الدواوين الشعرية وكيف بدا منهج بعض المحققين في تغييب الحقائق التي جسدتها قصائد الشعراء، فللواقع مضامين يمكن إبرازها عِبر التاريخ، ولعل أول ما يشار له بهذا الصدد قصيدة قالها حسان بن ثابت في هجاء أبي سفيان بقوله[١٥]: (الوافر)

عَفَت ذاتُ الأَصابِعِ فَالجِواءُ
إِلى عَذراءَ مَنزِلُها خَلاءُ
دِيارٌ مِن بَني الحَسحاسِ قَفرٌ
تُعَفّيها الرَوامِسُ وَالسَماءُ
وَكانَت لا يَزالُ بِها أَنيسٌ خِلالَ
مُروجِها نَعَمٌ وَشاءُ
فَدَع هَذا وَلَكِن مَن لَطيفٍ يُؤَرِّقُني
إِذا ذَهَبَ العِشاءُ
لِشَعثاءَ الَّتي قَد تَيَّمَتهُ فَلَيسَ لِقَلبِهِ مِنها
شِفاءُ

بهذه المقدمة الطللية بدأ الشاعر قصيدته الهجائية الذي يذكر المحقق إنها نُظمت بهجاء أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وقد جعل المحقق لأبي سفيان بن الحارث ترجمة معللاً فيها سبب الخلاف بين النبي (صلى الله عليه وآله) وأبي سفيان بن الحارث معتمدًا على ترجمته الواردة في كتاب الأعلام للزركلي[١٦]، والواقع إن حسان نظمها في هجاء أبي سفيان بن حرب إذ إنه يقول[١٧]:

أَلا أَبلِغ أَبا سُفيانَ عَنّي فَأَنتَ مُجَوَّفٌ
نَخِبٌ هَواءُ
بِأَنَّ سُيُوفنا تركتك عبدًا وعبد الدار
سادتُها الإماءُ

يذكر الشاعر عبد الدار في قصيدته ولم يذكر عبد المطلب، وكما هو معلوم أنَّ أبا سفيان بن الحارث لا يرجع بالنسب إلى عبد الدار وفي هذا إشارة إلى بني أمية بأنهم ليسوا من قريش وإنما

من العبيد، فقد «كان أُميَّة غُلامًا روميًا لعبد شمس شقيق هاشم فتبناه عبد شمس وعاش تحت رعايته»[١٨]، وقد ذكر الشاعر هذه المسألة بقوله: سادتهم إماء، وقول الشاعر[١٩]:

أتهجوه ولست له بكُفءٍ فشرُّكما لخيركُما الفداءُ

وفي هذا البيت تتضح الصورة أكثر؛ إذ كيف لا يكون كُفؤا للنبي وهو « ابن عمه ورضيعه[*] وكان محبًا للرسول (صلى الله عليه وآله)، ففي هذا البيت قصد حسان أبا سفيان بن حرب، هذا ولم يعرف هجاء لأبي سفيان بن الحارث مطلقًا، وهذا ما يدل على أنه لم يكن المقصود، وإنما أبو[٢٠] سفيان بن حرب.

ولم يقتصر الأمر على هذه الحادثة، فلم تسلم حتى الحوادث الكبرى فحادثة « الغدير » والتي تعد الحادثة الأعظم عمقًا في مجرى رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ بضوئها تمَّ التأسيس لحكومة ما بعد المبعوث الأمين محمد (صلى الله عليه وآله) وفق ما جاء في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٢١]، فمن تفسيرها أنَّها نزلت «يَوْم غَدِير خم وَهُوَ يَوْم ثَمَانِي عشر من ذِي الْحجَّة قَالَ النَّبِي (صلى الله عليه وآله): من كنت مَوْلَاهُ فعلي مَوْلَاهُ»[٢٢]، ولا ريب إن النص القرآني يحتمل أكثر من قراءة وهذه إحدى القراءات الأكثر قبولا والتي يقول فيها الكثير من المفسرين[٢٣]، وقد خص الإمام علي (عليه السلام) الخلافة وعدم مبالاته لها بخطبة جاء فيها: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ[٢٤] إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[٢٥] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ

طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللهَّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين»[٢٦]، ففيها يصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التفاف الناس من حوله لأخذ البيعة منهم، (وهم مزدحمون بين مبايع ومهنئ، وهذا ما لم يتم من البداية التي أرادها الله ورسوله بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بل جاء بعد حين طويل، فبعد وفاة الرسول نُكثت تلك البيعة ولم تُبصر النور ومن هذا التوقيت بدأت تُصب الآفات والفتن على المسلمين، فـ»كان لموضوع الخلافة الدور البارز في ظهور الخلافات السياسية التي أصبحت نقطة الخلاف والانقسام عند المسلمين، وأدى بالتالي إلى ظهور تلك الوقائع في صدر الإسلام، وجلبت الويلات على المسلمين»[٢٧]، فبعدها برزت الطوائف والمذاهب، فضلاً عن الأحزاب السياسية المتناحرة بينها، وقد نَظَمَ الشعراء في وصف بيعة الغدير التي عُدت الحدث الأكبر آنذاك وفي حينها قال حسان بن ثابت(ت:٥٠هـ) واصفًا[٢٨]: (الطويل)

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا:
إلهك مولانا وأنت نبينا ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا علي؟ فإنني رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم؟ وال وليه وكن للذي عادى عليا معاديا

نجد إنَّ الديوان قد خلا من هذه القصيدة التي أثبتتها المخطوطات

القديمة وذُكرت محققه في مواطن أخرى أشار لها البحث، وقد أغفل المحقق « الأستاذ عبد مهنا » ذكر هذه المقطوعة[٢٩]، وقد يكون سبب إهمالها ظروف سياسية أجبرته على التغافل، فمثل هذه القصائد لها الأثر الكبير في تحديد بعض المواقف العقائدية، إذ تأتي معضدة لما ورد في ذلك من السير، ولعل هذا هو ما دعاه لإسقاطها، ففي هذه القصيدة ما يؤكد رسم ملامح صورة الخلافة الحقة ويذكر بعض الباحثين أن هذه قضية التحريف والتزييف لم تسلم منها حتى تلك الدواوين المقتصرة على مديح آل البيت (عليهم السلام) ؛ كديوان الطاهر الكميت الأسدي، إذ ورد إن يدًا غير أمينة عاثت في طبع الهاشميات الغر[٣٠]، هذا مثالٌ لا يمثل الصورة النهائية للعصر الإسلامي والأموي لا نريد التوسع خشية الإخلال، لكن المتتبع سيجد الكثير من هذا الضرب.

وبالانتقال إلى العصر العباسي نجد لأبي تمام (ت:٢٣١هـ) مثلما حصل في ديوان حسان فله قصيدة تعرف بـ « الغديرية » لم تُذكر في ديوانه يستهلها بقوله[٣١]: (الطويل)

أظبية حيث استنت الكثب العفر ... رويـــــدك لا يغتـــالك اللوم والزجر

أسري حذارا لم يقـــــــيدك ردة ... فيحسر مـــــاء مـن محاسنك الهذر

أراك خلال الأمـــــر والنهي بوة ... عداك الردى ما أنت والنهي والأمر؟!

أتشغلني عما هـــــرعت لمثله ... حوادث أشجـــــان لصاحبها نكر؟!

ودهر أساء الصنع حتى كأنما ... نـــــذورا في مساءتي الدهر

له شجرات خيم المجـــد بينها ... ثمـــــــر جان ولا ورق نضر

ثم يردف قائلا:

ويوم الغدير استوضح الحقُّ أهلهُ
بفيحاء لا فيها حجابٌ ولا سترُ

لا يجد الباحث هذه القصيدة في الديوان المعروف للشاعر[٣٢]، عمد الناقل على طمس هذه القصيدة التي لا توافق عقيدته بوصفها وثيقة تاريخية تروي الحدث شعرًا وتوضح المعنى المراد منه فتكون وسيلة إثبات تبين نوع الحكومة الإسلامية، وليست هي القصيدة المغيبة الوحيدة ؛ فقد قيل إن ((له شعرًا في أهل البيت (عليهم السلام) كثير))[٣٣]، ولا أثر يذكر لهذا الشعر في ديوان الشاعر.

وبالانتقال إلى شاغل الناس المتنبي نجده يقول[٣٤]: (الكامل)

وتركتُ مدحـــــي للوصيّ تعمداً
إذ كان نـــــوراً مستطيلا شاملا

وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ولو بحثنا في ديوان المتنبي لا نجد هذين البيتين[٣٥]، فقد تم تغييبهما من قبل المحققين يشاطر المتنبي الرأي في ذلك أبو نواس، قائلًا[٣٦]:(الخفيف)

قيلَ لي أنتَ أوحـــــــدَ الناسِ طُرّاً
في فنونٍ من الكلامِ النبيه

لكَ من جـــــــوهرِ الكلامِ
بديعٌ يُثمرُ الدرُّ في يدي مجتنيه

فعلى ما تـــركتَ مـــدحَ ابنُ موسى*
والخصالُ التي تجمّعنَ فيه

قلتُ لا أهتـــــــدي لمدحِ إمامٍ
كـــانَ جبريلُ خادماً لأبيه

لا نعثر على هذه القصيدة في ديوان أبي نواس[٣٧]، في الوقت الذي سجلتها الكثير من المصادر.

كما وقد شهد العصر الأندلسي للكثير من محاولات تغييب آثار طائفة وابراز أخرى يقف في أولها على ما يشاع من إنَّ الأندلس «أموية الهوى سنية المذهب في الجملة»[٣٨]؛ وهذا يعني انها

طمست كل ما يمت لهم بصلة ويؤكد ذلك المقري الذي اقتصر على ذكر ما استحسنه هو فقط من كتاب ابن الأبار «درر السمط في خبر السبط» المتعلق بكشف عقيدة الشاعر والمتضمن مديح آل البيت (عليهم السلام)، فلم يورد منه ما كان له أي صلة في التشيُّع[٣٩]، وسرت هذه الظاهرة إلى تحقيق دواوين شعرهم فلأبي حيان الجياني الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) قصيدة بدأها بمقدمة واصفًا متنزهًا خرج إليه وتخلص من تلك المقدمة منتقلاً لمعاني أراها تتعلق بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً[٤٠]: (الطويل)

ونسبته للقُـــدس أيَّةُ نسبـــةٍ تدلُّ
على التطهير من كل موبقِ
إمامته في العـــلم ثابتةٌ لنـــا بنصٍ
واجمـــــاعٍ ورأي المدققِ
تناجيهِ نفسٌ بالعـــلوم وغيره
يلوذ بتجمـــــيع الكلامِ المُلفقِ
وَقَد نُقِشَت كُلُّ العُلومِ بِصَـــدرِهِ
فَأكرِم بِـحبرٍ نَيِّرِ النَفسِ مُشرِقِ

فقد ذكر المحققان إنَّ الجياني نظمها في «مدح بعض اصحابه»!، ولربما لهما الحجة فيما قالا، فمن المحتمل أن يكون ذلك العنوان مثبتًا في المخطوطة التي كُتبت وفق ظروف سياسية معينة، أو إنَّ فهمهما للنص جاء بهذه الصورة، وكل هذا لا يشوه الصورة التي أرادها الشاعر وأخفاها المحقق، والواقع إن الشاعر يريد بها آل البيت (عليهم السلام)، إذ إن البيت الأول في أعلاه متضمن لمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤١]، فليس هنالك مخلوق مبرأ من العيوب غيرهم صوَّر هذا المعنى حسان بن ثابت بقوله[٤٢]: (الوافر)

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقـــــــتَ مُبَرَّأً مِن كُلِّ عَيبٍ كَأَنَّكَ قَــد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

وما صح للرسول (صلى الله عليه وآله) يصح لآله (عليهم السلام)، وهذا يعزز ما أراه في نسبة القصيدة لما ذكرته، وحسب بيعة الغدير إنَّ الله يأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بتعيين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة له وفق النص القرآني المذكور آنفًا، فيما تذهب الطوائف الإسلامية الأخرى إلى إنَّ الخلافة تتم بالانتخاب والتعيين، فيعتقد الناظم مذهب المبدأ الأول وهذا ما فرضه مذهبه، فيرى أنَّ هذا الإمام صاحب العلم اللدني لا نظير له وهو على خلاف غيره من الناس، ويستمر بتعداد خصال ممدوحه ثم ينتقل لعلي (عليه السلام) بالنسبة لمحمدٍ (صلى الله عليه وآله) قائلاً[٤٣]: (الطويل)

عليٌّ له شِبهٌ بخـــــلقِ محمدٍ أخوه بلا شك سُقي فضلَ ما سُقِي

وَإِنَّ عَلِيّاً مِن محمدٍ الرَضِي كَهارونَ مِن مُوسى حَديث المنطقِ

يتردد قولهم «هارون من موسى » وهذا معنى قرآني تضمنه قوله تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٤٤]، من هنا جاز القول إن التحقيق لم يكن منصفًا في نسبة القصيدة لغير ما نُظمت لأجله، وهذا مما يؤخذ عليهما، فمن الأجدر إظهار الحقائق وبيان ما أراده الشاعر لأن هذه أمانة وما المحقق سوى حلقة بين القديم والحديث واجبه إيصال القديم للقارئ فقط.

وقد نال ابن دراج نصيبه كصاحبه سابق الذكر، فله قصيدة

مشهورة يستهلها بقوله[٤٥]: (المتقارب)

لَعَلَّكِ يَا شمـــــسُ عند الأصِيلِ
شَجِـــــــــيتِ لِشَجْوِ الغرِيبِ الذَّليلِ

فكونِي شَفيعي إِلَى ابْنِ الشَّفِيعِ وكُونِي
رَسُـــولِي إِلَى ابن الرَّسُولِ

فإمَّا شَهِـــــــدْتِ فأَزْكى شَهيدٍ
وإِمَّا دَلَلـــــــــــــتِ فأَهدى دَليلِ

عَلَى سابِقٍ فِي قُيــودِ الخُطُوبِ ونجمِ
سَناً فِي غُـــــثاءِ السُّيولِ

يُنادِي النَّـــدى لِسقـــامِ الضَّياعِ
ويشكـــو إِلَى المُلْـكِ داءَ الخُمُولِ

وعـــزَّ عَلَى العِلْمِ مَثــوَاهُ أَرْضاً عَلَى
حُـــــكمِ دَهْرٍ ظَلومٍ جَهولِ

ورد إن القصيدة هذه في مدحِ علي بن حمود، مع عدم وجود قرينة تشير إلى مدحه من قبيل ذكر الاسم أو ما شابه ذلك، ولعل مرد ذلك إلى أنَّ القسطلي أراد إخفاء نسبتها تقية، أو إن المحقق قد أخطأ بنسبتها لامتزاج مديح آل البيت (عليهم السلام) بمديح آل حمود فالتبس أمرها عليه، ولكن الواقع أن ابن دراج قالها في آل البيت (عليهم السلام) وصرح بذلك عِبر معناها العام المرتبط بهم (عليهم السلام)، فهو يشكو إلى الشمس غُربته وما حلَّ به، ثم يطلب منها أنْ تكون شفيعه ورسوله إلى ابن الرسول، والمتعارف عليه أنَّ كل أولاد علي (عليهم السلام) ينسبون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد وصفت بأنها: ((من الهاشميات الغر، بناها من المسك والدر، لا من الجص والآجر، لا بل خلدها حديثاً على الدهر، وسر بها مطالع النجوم الزهر؛ لو قرعت سمع دعبل بن علي الخزاعي، والكميت بن زيد الأسدي، لأمسكا عن القول، وبرئا إليها من القوة

والحول؛ بل لو رآها السيد الحميري، وكثير الخزاعي، لأقاماها بينة على الدعوى))[٤٦]، يجعل ابن بسام هذه القصيدة في حقل الشعر الشيعي الذي جاء عن شعرائهم الكبار، ويلحقها بـ «هاشميات الكميت»، التي تمثل بذرة ونواة الشعر الشيعي في أول ظهوره وكأن هذه القصيدة كذلك.

الخاتمة

لا يخفى ما للمخطوطات من أهمية كبيرة جدًا ؛ ففيها متضمن علم الأمم السابقة وتاريخها ومحفوظ فيها كل ما يمثل زمانهم، وفي الكثير منها علم لا يتحصل إلا عِبرها، فنود القول بأن التحقيق هو المصدر الرئيس الذي يمد الساحة الأدبية بالمادة الغنية والمثال الواجب الاحتذاء به، ولا يتحقق هذا الشيء من دون التحقيق الذي جُعل محكومًا بضوابط كثيرة تأتي الأمانة العلمية في مقدمة تلك المعايير، كما ويجب تتبع المخطوطات ومقابلتها ويجب أن تُشفع الدواوين بمستدركات إن حدث السقوط، لأن تغييب النصوص محاولة يائسة لا يكتب لها الدوام في الأعم الأغلب، وما ورد لا يمثل النتيجة النهائية للدراسة ؛ بل هو غيض من فيض وعنوان بحثنا لا يمكن أن تتسع له دراسة ومن الممكن أن يكون عنوانًا لأطروحة موزعة فصولها على العصور – الإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي – وأرى مادة الدراسة جديرة بالنهوض لغزارتها، كما أن العنوان يمكن أن يُطبق على كثير من الكتب التاريخية وحتى الفقهية وأستطيع مد يد العون لمن أراد تتبع ذلك، والقصد هو تسليط الضوء على قضية قد يجهلها الكثير من النقاد، فيأتي بحثنا مشيرًا إلى وجوب

اتباع الأمانة العلمية وجعل العاطفة والعقيدة بمنأى عن البحث العلمي الرصين، والتعبير عن الرأي أو المعتقد يأتي تعقيبًا على ذكر أصل النص ؛ لأن تغييب النصوص المتعارضة مع ما نعتقد به لا يمكن أن تحجب الفكرة أو المعتقد الذي أراج الشاعر التعبير عنه وذكره، وأرى أن هذا البحث من الممكن أن يكون رسالة، أو حتى أطروحة تتبع منهج المحققين في تحقيق الدواوين الشعرية من العصر الإسلامي مرورًا بالأموي وحتى العصر الحديث.

الهوامش:

١- يُنظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة: ١٣-١٤.

٢- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م: ٢ / ٦٧.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م: مادة حقق.

٤- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مادة: حقَّ.

٥- نظرة في تحقيق الكتب، مجلة معهد المخطوطات، المجلد الأول ١٤٠٢ هـ: ١ / ٩.

٦- يُنظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة خطط.

٧- محاضرات في تحقيق النصوص، د. أحمد محمد الخراط، دار المنارة، جدة، السعودية، ط ٢، ١٩٨٨ م: ١٠.

٨- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨م: ٦٥.

٩- م، ن: ٤٨.

١٠- يُنظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي،(٣٩٢ - ٤٦٣هـ)، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض: ١٩٨٣م: ٢٧٥.

١١- النساء: ٥٨.

١٢- المؤمنون: ٨.

١٣- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون: ٤٨.

١٤- يُنظر: منهج تحقيق المخطوطات، إعداد ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ: ١٩.

١٥- ديوان حسان بن ثابت، تح: الاستاذ عبد مهنا، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م: ١٧.

١٦- ينظر: م، ن: ١٧.

١٧- م، ن: ٢٠.

١٨- كامل البهائي، الحسن بن علي بن محمد بن علي المشهور بـ عماد الدين الطبري، تح: محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٦ ه: ١ / ٣٥٠.

١٩- ديوان حسان بن ثابت: ٢٠.

*- ينظر: الأمالي في الأدب الإسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٦م: ٥٤.

٢٠-

٢١- المائدة: ٣.

٢٢- الدر المنثور، السيوطي (ت: ٩١١ ه)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، بيروت: ٣/ ١٩.

٢٣- ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ه: ٣/ ٢٥.

٢٤- عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام، والعرب تسمي الضبع عرفا لعظم عرفها.

٢٥- ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامها حوله وجثومهم بين يديه وقلة نظامهم حين مبايعته.

٢٦- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده خرج مصادره: فاتن اللبون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت: ١/ ٣٧.

٢٧- مجلة: دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الثالثة، العدد ٨، ٢٠١٦م: ٩٣.

٢٨- الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، السيوطي، المكتب الإسلامي للطباعة: ٤٤، و خصائص الائمة، الشريف الرضي (٤٠٦ ه)، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ٢، ١٤٣٤هـ:

٤١. ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م: ٢ / ٥٠-٨٧.

٢٩- يُنظر: ديوان حسان بن ثابت، تح: الاستاذ عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م،

٣٠- ينظر: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني: ٢ / ٢١٤.

٣١- م، ن: ٢ / ٣٨٦.

٣٢- يُنظر: ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤: ٢ / ١٥٢ قافية الراء.

٣٣- رجال النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الأسدي الكوفي (٣٧٢-٤٥٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ٦، ١٤١٨هـ: ١٤١.

٣٤- زيادات ديوان شعر المتنبي، تح: عبد العزيز الميمني الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ: ١٢٤.

٣٥- يُنظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٣٦م.

٣٦- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مطبعة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٥م: ٩ / ٣٨٩. والابيات واردة في وفيات الاعيان: ٣ / ٢٧٠. *هو الإمام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الإمام الثامن عند الشيعة توفي في خراسان مسمومًا سنة ١٤٨هـ.

٣٧- يُنظر: ديوان أبي نواس، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، ١٩٥٣م.

٣٨- تاريخ الاندلس، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧م: ١٣٥.

٣٩- ينظر: نفح الطيب: ٤ / ٥٠٦.

٤٠- ديوان أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٩٦٩م: ٣١٧.

٤١- الأحزاب: ٣٣.

٤٢- ديوان حسان بن ثابت، تح: الاستاذ عبد مهنا: ٢١.

٤٣- ديوان ابي حيان الاندلسي: ٣٢٠.

٤٤- طه: ٢٩-٣٠-٣١.

٤٥- ديوان ابن دراج القسطلي (ت: ٤٢١هـ)، تح: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٩٦١م: ٧٥-٧٦.

٤٦- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت:٥٤٢هـ)، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م: ١-١/ ٨٧-٨٨.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.

٣- الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، السيوطي، المكتب الإسلامي للطباعة: ٤٤، و خصائص الائمة، الشريف الرضي (٤٠٦ ه)، تح: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ٢، ١٤٣٤هـ.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: حسين نصار، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٤م.

٥- تاريخ الاندلس، إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧م.

٦- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٧- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٧، ١٩٩٨م.

٨- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ه.

٩- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الحافظ الخطيب البغدادي،(٣٩٢ - ٤٦٣هـ)، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض: ١٩٨٣م.

١٠- الدر المنثور، السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، بيروت.

١١- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تح: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

١٢- ديوان أبي حيان الأندلسي (ت

٧٤٥هـ)، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط ١، ١٩٦٩م.

١٣- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٣٦م.

١٤- ديوان ابن دراج القسطلي (ت: ٤٢١هـ)، تح: محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط ١، ١٩٦١م.

١٥- ديوان أبي نواس، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصر، ١٩٥٣م.

١٦- ديوان حسان بن ثابت، تح: الاستاذ عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

١٧- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبي الحسن علي بن بسام الشنتمريني (ت:٥٤٢هـ)، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.

١٨- رجال النجاشي، ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي الأسدي الكوفي (٣٧٢-٤٥٠ه)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط ٦، ١٤١٨هـ.

١٩- زيادات ديوان شعر المتنبي، تح: عبد العزيز الميمني الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ.

٢٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، مطبعة الرسالة، ط ٣، ١٩٨٥م.

٢١- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، عبد الحسين أحمد الأميني، مؤسسة الأعلمي ' بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.

٢٢- كامل البهائي، الحسن بن علي بن محمد بن علي المشهور بـ عماد الدين الطبري، تح: محمد شعاع فاخر، المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٦ ه.

٢٣- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر.

٢٤- محاضرات في تحقيق النصوص، د. أحمد محمد الخراط، دار المنارة، جدة، السعودية، ط ٢، ١٩٨٨ م.

٢٥- منهج تحقيق المخطوطات، إعداد ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ.

٢٦- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢٧- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده خرج مصادره: فاتن اللبون، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

المجلات والدوريات

١- مجلة: دراسات استشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، السنة الثالثة، العدد ٨، ٢٠١٦م.

٢- نظرة في تحقيق الكتب، مجلة معهد المخطوطات، المجلد الأول، الجزء الأول: ١٤٠٢ هـ.